

تتميش المرأة المصرية في الانتخابات النيابية الأخيرة، حيث انخفضت نسبة الحضور النسائي الى ٢ في المئة من مجمل الأعضاء. وتقدم «معهد دراسات المرأة» التابع لجامعة بيرزيت.

تمارس إسرائيل موقفاً ذكورياً ومتعالياً تجاه المجتمع الفلسطيني، ما أوصل الى استنتاج أن السياسي والنسوي واحد. وفي «الزاوية الحمراء» يصف نائل كيفية استجواب الامن لروح شهيد.

احتفاء بالأمر غريباً، حين خرج «مواطن» الى شرفة منزله في اواخر الليل ليستقط السلطة بصوت عال، مطلقاً عليها أوصافاً شنيعة. لم يُسمَ رموزها بأسمائهم الحقيقية بل بما يدل عليهم، ويستطيع معرفتهم عموم السوريين دون عناء. لن يسأله أحد من أبناء حي «بيستان الماشا»: لماذا لا يخرج في تظاهرة، من تلك التي يشعربها من «طيارة»، وهي لفراط طيراتها لن يشعر بها من تصادف عبوره بقريها، ومن تستوقفه بخالها نمطاً من المشاجرات الحديثة أو من التشجيع الذي تحظى به الفرق الرياضية المحلية بعد هزائنها أمام بعضها، لكن ربما يسأله من هو غريب عن الواقع السياسي السوري، ويعظه بأهمية الالتزام بالتحالف السلمي، شمهداً على حسنة اللومسة كتحفيض «الكولمسترو»، وتنشيط الدورة الدموية، وإدارة البول المشبع بالأملح السامة. حينها تكون التظاهرة هي شكل من الرياضه السياسية، ونمطاً يحاكي الدوري العام للألعاب الرياضية.

### محاولة لإسقاط السلطة في أواخر الليل ومن شرفة المنزل

يخرج أبو «حرب» وفي تسميات أكثر دقة «أبو سلام» إلى الشرفة، كاسراً حاجز الجراة برقع ليترى من العرق الممد بمياه الفرات وتلجج، مجاهرا بإسقاط السلطة وموبخاً جيرانه الناظرين، يكونهم فليقع خراف وهب حياته للطعام والتناسل والنوم والتيهوؤ المدني الافتراضي للتضحية بما تبقى من حيواتهم على موائد الآلهة وولائمهم الباذخة.

يزداد غيظاً، لأن أحد لم يرم بطائفة الصوف ويرتدي ملابس على عجل لينزل إلى التظاهرة، أو يخرج للشرفة من فوره، كما فعل «المواطن» ويبدأ بالهتاف التوكيدي، بل لأن أحدهم خرج إلى شرفة منزله وصاح به: «حاجة علاك فاضي، بدنا ننام!!» (ترجمة: يكفي ثرثرة فارغة نريد أن ننام). لم يصغ لتحديرات زوجته ونداءاتها المتوسلة، هي التي كانت تملأ البيت بأكياس المعونة من الشاي والأحذية والأطعمة والأدوية، التي تجمعها بدأت وصبر مع متطوعات أخريات، وتسعى بمجازقات كبيرة ليصالحها إلى من جارتها في الأرياف: «سلوكك أرع وغير مسؤول، يفتح علينا أبواب جهنم، حين يستدعي مخرو الحى دوريات الأمن ويبداون أقله بتفتيش البيت ليحيدوا ما وينسوننا هناك، إن لم يقتلونا من فوره».

وحيث كرر احتجاجه بعد أسبوع، سمع صوتاً هادراً يطالب بإيقاف هذا الجنون عن الكلاهد! هذا عنى أن المطالبة بإسقاط سلطة سياسية في هذا البلاد، عمل يشبه الجنون. العاقل من يتكيف معها، ويتسحق إلى الأبد كقط ذليل بحذاء الأسود الطويل.

هذا كله قبل نهاية شهر أيلول من عام ألفين واثنى عشر، بعدها سيفارقون البيت وينتهدون في أطراف البلاد وخارجها، ليصعد «المواطن» إلى الشرفة وينادي على النيام بصورته القوية، لأنه لن يجد أحداً من سكان الحي باقياً لسماع كلامه، ولن يجد شرفة، يخرج إليها آخر الليل

ويقضى يكلتا يديه على سورها المعدني قبل أن ينادي على الخلائق. كل هذا وغيره سوي بالأرض.

### أراد الصراخ أمام السابلية:

ماذا تغفلين هنا يا أمي!!

على إفريز السور الذي يطوق «حديقة السليل» الهائنة، جلست مكورة أمام صندوق خشبي، من تلك الصناديق التي تحمل بها الفاكهة من البساتين إلى الأسواق، وضعت فوق قاعدته المقلوبة بضاعتها: بضع قطع بسكويت وشوكولا

وجوارب نابلون نسائية، نرى معطفها الثقيل من فرو الفيزون، ويديها المحميتين بققازين أبيضين من الشاسمو السامع الأنيس، قبل أن ترى وجهها المعجون بخلائط الحليب والعسل ونسجة الخزامي، رأسها المغلطي بمذبل حبري يبلون سكر غير صاف، خذاهما الارتفاع الحواف البالية والمتهى بسوار صوفي يضيق على سابقها...

ستحل أنها من طالبات الفرنسيسكان في الستينيات، وتنتقن الفرنسية كما العربية، وتلفظهما بيقظة المعلمين الكرسين لأداء مهمة تربوية متقنة، قرأت فولتير وراسين بلغتهما، بعد أن قرأت تثيريات خليل مطران وجمال الدين الأفغاني وله حسين. وزارت مع أستاذها باريس



وسام الجزائري، سوريا

تتعثر ولا تصل، وهي لا تقبل مديها إلى الحسين، تفضل عليها الجلوس على الإفريز الحجري لسور الحديقة في برد «المريانية»، لتحصل في نهاية النهار الثقيل على ما يعادل ثمن وجبة طعام، وعلى ذلك الإناس البهيم الذي يحمله العابرون والفضوليون، قليل من يعرف أن عوائد عمل سنة كاملة، لن يعادل ثمن المعطف الذي ترتديه.

قبل حلول العتمة، تحمل صندوقها وتفرغ بضاعتها في كيس أسود وتصعد بتعب إلى شقتها العالية الواسعة الغلظة، تضع الصندوق والكيس قرب الباب وتغلق أقفاله، وترمي عنها كل الألبسة الثقيلة، تغسل يديها وقدميها وتجول بنظرات غزال متوجس في أطراف البيت وزواياه قبل أن تضيى إلى سريرها وتندثر بأغطية ذكرياتها الصوقية.

### سلملي عليه ويوس عينيه!!

جلست بخبات وصمت، كأنها تماثل رخام، ووضعت أمامها على الرصيف، كل ما كانت قد أعدته بحنان أوموي لأولادها وأحفادها، ويفيض عن حاجة من بقي معها، مبريات الفواكه والبندورة، لم يأت أحد منهم ليأخذ حصته من تعبها ورائحتها وأنفاسها، ولن تصل لأحد هذه المحمولات من الأطعمة المقلنة بزجاج الأتية الأنيقة، ويبدأ انقطاع الكهرباء الطويل المتواصل تبع الأيام وساعات التحضيرات الطويلة، ويذفنها بخشونة في سلال النفايات، الأمل وسواه ذبواب في نلاجة بيت طاقة الكهربية الضروية. كل ما هو قابل للبيع يباع تباعاً، الأفرام الذهبية لسلسال التهتهة بالبوليد البكر، الطناقس الفارسية، التكاكات الأنيقة المصنوعة من الخشب والخلائط المعدنية والخزف والزجاج الملون. ليست وحيدة في هذا البيت الواسع في حي «الفرنسيسكان» بشرفاته العريضة التي حولتها بداب ومثابرة إلى حديقة معققة، معها شقيقها العازب، المحتاج لجلستين أسبوعيتين لغسيل الكلى، وابنتها الهندسة الأربعينية، التي دفعها الخوف من مخاطر الطرقات لطلب إجازة طويلة من العمل.

تستعمل الشاري العجول والجشع الذي يتصنع الإنفعال والقوى، وتعد له فئجان قهوة قبل أن تكلم عن تلك الأشياء القيمة بحمولاتها العاطفية ونقلها الوجداني. وتختتم الكلام: أرجو أن تحافظ عليها، كأنما تأمل أن تستردها في يوم ما. في أعماقها تعلم تماماً أنها تباع ضحكتها الحلبية المنطشة، ومومعها الساخنة الراهنة وأفرانها الخبوية، أي كل ما هو غير قابل للاسترداد...

حذاري!! إن لم تبعيهم، سيأتي عاجلاً من يسرقهم برعونته وخسة. خير أن تتعمي بالأموال التي تعود عليك. ترتبك أمام محدثيها، لا لعجز في الرد أو استحكال الجوار، بل لأن ثمن المقننات ذهب تباعاً للمشي ولحذرة من تقدر الأشياء المعروضة للبيع ويدرك أهميتها، ويمك مالا لذلك، وهناك من يتعهم مخاوفها الافتراضية غير المصرح بها، ويعغم تخافين من سرقتهن، لكن من الجرحي أنا كذلك من السرقة بعد أن اشتريتها»، يومها، قال

والإسكندرية واسطنبول في تلك الأيام البهجة التي كان يكرسها الأيوان لأولادها، وصافحت العظلة ماجدة الصباحي حين حضرت مع الفيلم الذي شخصت فيه دور المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد، وعبرت على قبر من كان يوماً أميراً للشعراء ويستعيد القضاة هذه الأيام في المدن والقرى بيت قصيدته «وللحرية الحمراء باب كل يد مضرجة يدق» ووضعت يديها باقة زهور بيضاء فوق ضريحه الحجري.

لكنها الآن وحيدة وميلا معمل. لم تلب نداءات الهاتف من ضرورة الخروج من المدينة والاتحاق بإخوتها وأولادهم وترى «الجميل بما حمل» الحوات المالية التي يرسلها أولاد إخوتها من فيينا

# جديتي سبي

(إلى نساء الظل، إلى كل جدات العالم)

النِّية، كانت الحيوانات تكلم في حضرة ملكها المعظم، كيف أصبح الأسد ملكاً؟ تقائل أسدان والذي انتصر صار ملكا. كان لدي اعتراض: كيف يكون للحيوانات ملك من غير جنسها؟ لا يمكن أن يتصارع ثور مع أسد ليكون الأسد ملك البقر. لتعرف من القوي يجب أن يتعارك منشابهان من الوزن نفسه.

بين البقر يجب أن يكون أقوى ثور ملكا. يجب أن يكون للفرقة ملك منها. كانت هذه واحدة من المرات التي واجهت حكايات جديتي بأسئلة لم تملك لها جواباً. حين كبرت غيرت السؤال: لو كان لكل نوع ملك من طائفته، كم من ملك ومملكة ستكون؟ كثير. إذن من الأفضل أن يكون الأسد ملكاً على الثيران والقردة، ويفترسها حين يجوع.

هزم الأسد الجميع، لكن امرأة شتمته بأن فمه قدر لأنه يأكل الجيف، ويصطاد وتتغذى الشعالب على الفضلات. كانت كلمة الفضلات تستفز جديتي، فقد كانت تُستدعى للطبخ في الجنازات. يقدم الكسكس

في بداية ٢٠٠٩، عام تأديب الصحافيين في المغرب، حملت أنني اعتقلت بسبب مقال عن النخبة المترلة، الهرة والفاسدة. وقد اضطرت جديتي لقطع ٧٠٠ كلم لزيارتي. رأيت الأمثلة التي تعرضت لها وهي تتف باكئة في صف طويل بين مئات النساء وعشرات الرجال في باب السجن. استيقظت مغزوعاً.

بعدها صرت أجد صعوبة في متابعة المقالات السياسية. ركزت على تحليل الأفلام. فبعد كل هذا العصر لا تستحق جديتي أن يُهان وتبكي في الغد اتصلت لي لتحذرت قليلاً وودعتها. وكالعادة بعد المكالمة وضعت هاتفها جانبا. لا تعرف حكايات تغلق الخط، وذلك أسعها تكلم نفسها. تتعرق بما لم تتله لي أثناء المكالمة. تردد «تعبت يا ولدي... يبقى أتني عنيت حتى رأيت أولادك».

لهذه الجملة قطعة وداع مزلولة من امرأة تسلمتني وعمرى بضعة أيام، وذلك بعد أن ولدتني أمي وهي لا تبلغ السادسة عشرة من عمرها.

كانت جديتي تعد فطائر لذيدة بالعسل. كنا نقيم في غرفة واحدة، ريعها مطبخ. كان سني ست سنوات وقد بدأ رمضان لتو، كنت أحب الفطائر بالعسل، وأحب العسل أكثر. لذا كنت أنتظر خروج جديتي للحلّل لأشرب العسل. حصل ذلك في اليوم الأول والثاني من رمضان، لكن في اليوم الثالث، اخذت قنينة العسل من العرقة، وبحتت عنها طيلة النهار، وفي كل الأيام الموالية، كنت أراها فقط وقت الإفطار عندما تأتي جديتي بالفطائر من الفرن، ثم تختفي. انتهى رمضان وحل عيد الفطر، استيقظت وقد أعدت جديتي الفطائر، قبلت رأسها وجلست لتعطر، طلبت مني إحضار العسل، دهنت، سألتها «أين هو؟» قالت دون أن تضحك: «تحت الوسادة التي تنام عليها».

قصدت الوسادة المحشوة بالصوف فوجدت القنينة، اخذتها وأنا أسف لكل الوقت الذي قضيته أبحث عنها. كم من مشكل يوجد حله على بعد سنتيمترات من جماننا ولا نراه.

هكذا فتحت عيني في البداية وجديتي تطبخ لي وتحكي. تطعم البطن والعقل. وهكذا كانت جديتي، امرأة الظل، معلمتي الأولى.

لم يكن الحكيم بعيدا عن الطبخ. فقد كان الموضوع الرئيسي للحكايات هو الصراع على الأكل. دلاليا، لا تقل الحكايات دسما عن الوجبات. في البدء، في عصر

## يمكن الانتكال عليهن

يفرد «السفير العربي» هذا الأسبوع صفحاته للنساء، متحولات، كما هن في الواقع، بحسب شروطهن للنساء، والتعبية والمناطقة والعمرية، وبحسب وعيهن لذاتهن، وبحسب أوضاع بلدانهن. اليوم ليس اختزالاً احتقالياً أو تقييمياً، يفدو بالضرورة رمزياً، يتناقض مع الشمول والاستمرار المحمولين بشعار تحطاله به النساء ويمررن عليه: كل أيام السنة... بالتاكيد! ولكن هذا لا يمنع ذلك، عيد أو يوم مخصص، وكذلك تضال عيد كل الأيام.

في مقالات المسخنة الروقية والالكترونية، نعيد اكتشاف النساء. جدات وأمهات، غالباً أميات و/أو فقيرات، علمن الأبناء على قيم تنوّه بها أعرق الجماعات، مقاومات ضد ظلمين، ينجحن أحياناً في الإفلات، ويلتفنن على الهزيمة حين لا تكون ساحقة. مناضلات اخترن بناء الواقف وبلورتها وتحتمل مسؤوليتهن، نساء يضيرن ويفضدن. يمكن الانتكال عليهن. لولاهن لانتبهت فلسطين مع النكبة، فهن من حصنّ المجتمع المقلع بتلك السرعة والعنف، وأعذن إليه التماسك في ظل النزوح والشتات. لولاهن لشحن العراق بعد حروب مهولة متتالية وحصار، فهن من أسس المجتمع، إدارة وإنتاجاً وابتكاراً لوسائل تغلب على التدمير الأحمق أو ذلك اليرمع. لا يكني. فكلماً برزت قدراتهن بمختلف مراتبها وطلباتها، كلما ازداد التوجس من حريتهن وإمكاناتهن. وقيل: «كيدهن». وعندها تنطلق الماكنية الهادفة إلى الضيق والاحتواء والإخضاع. ففي النظام المهيمن، يتداخل الاضطهاد الطبيقي، الذي يستغل أغلبية الناس تحت سميات شتى، والسيطرة الذكورية التي تحرص على صون التراتبيات، ولا يستقيم واحدهما من دون الآخر. ويُجانب أن للنساء المدلات حظوة، ولكنهن نوع من الواجبة التي تتعرض نجاح صاحبها أياً كان، أياً أو زوجاً. وهو المنطق البضاعي نفسه الذي يصل إلى «أقدم المهن». لقد سُنت أبشع القوانين، ومنها ترسيخ حماية «جرائم الشرف»، بعد بروز النشاع في الحقل العام. فذلك البروز مرعبٌ لأنه يحمل الاضطراب إلى مجمل التركيبة الثقافية، وكان لا بد من الردع وإعادة السيطرة، ويحدث امتناع مستميت عن تطبيق المساواة القانونية للنساء في منطقتنا، تحت مبررات شتى، كلها تقود إلى اعتبارهن حضان طروادة لغزوات غامضة.

لا يهمن، سيحصل. كما حصل الحق في التعليم والعمل. تحية لهن!

**نهلة الشهال**

### محمد بنعزیز

كاتب وسيماثي من المغرب









منظمة الصحة العالمية قالت في دراسة لها صدرت قبل أيام إن ٧٠ في المئة من الإناث في المدن الموريتانية يتعرضن للختان، في مقابل ٨٠ في المئة في الإرياف. ووصلت النسبة إلى ٩٨ في المئة في الصومال، و٩٣ في المئة في جيبوتي. أما في مصر، فقد طالت هذه العمليات ٩١ في المئة من النساء بين ١٥ و٤٩ سنة، و٧٤ في المئة بين اللاتي تتراوح أعمارهن بين ١٥ و١٧ سنة.

## في فلسطين المحتلة: السياسي والنسوي واحد



استقبال الأسيرة الحررة وردة بكراوي في قرية عرابة البوط في الجليل (محمد بدارنة، خاص «السفير العربي»)

أولاً، العمل على هاشم الأكاديمية الإسرائيلية في مواجهة استئثار ممانس، فالدراسة الاجتماعية الإسرائيلية للفلسطينيين تتجاهل ضرب الاستعمار للمجتمع، وتعتبر التخلف قيمة متأصلة فيه. لواجهة هذا تجدته الأكاديميات/ بين الفلسطينيين لربط السياسي والنسوي، هذه المناكفة الأكاديمية التي تنشر على المستوى النظري، متاحة في الداخل لكنها غير متاحة في جامعات الضفة وغزة.

ثانياً، شهدت السنوات الأخيرة زعزعة للبرامج السياسية للأحزاب الفلسطينية في الداخل. سقوط حل الدولتين أسقط قبول التجزئة، وأسقط اعتبار الداخل مسألة حقوق داخلية في إسرائيل. وراح الكثير من المناضلين والمناضلات يعيدون صياغة فكرة الدولة العنصرية وإسقاط «خاتبة» الاستعمار. وهم على علم أن خطاب الدولة الواحدة الذي مرتبهيش وتسخيّف الاستعمار. على مدى سنوات طويلة يحتاج إلى تغليف جذاب وجديد، وقد اعتمدوا كثيراً على المرجعيات الغربية. لكن القيادة المحافظة للأحزاب السياسية أعاققت هذا التوجه لكي تتمكن من مواصلة العمل داخل «حيز الديمقراطية الإسرائيلية»، وكانت هي ذاتها القيادة التي أعاققت كل توجه اجتماعي ونسوي جريء. هكذا اجتمع التمزّد على القيادة المحافظة في راديكالية النسوي وراديكالية السياسي.

ثالثاً، الواجهة المفتوحة والمباشرة مع العسكر الإسرائيلي في الضفة وغزة جمدت مكان المرأة للمرأة ذات ثبات لا يمكن التنازل عنه، ووسط المعركة لا يحتمل المجتمع زعزعة أسسه من الداخل. في ثقافة المواجهة المفتوحة مع الجيش الإسرائيلي، ورغم مئات الحالات البطولية التي خاضتها النساء، تنحصر صورة المرأة نحو توفير القاعدة الاجتماعية للعمل الفدائي، في الشعارات والرموز تبقى هي أم الشهيد، والفتاة التي تحضر الحجرة للشبان، والأخت التي تعد الطعام وتوصله للفدائيين.

الواجهة المفتوحة في الضفة وغزة تجمد مكان المرأة في مجتمع يلهث وراء التفريعات متأهبا للانفجار في أي لحظة، ولا يقل فوق كل مساكنه زعزعة أخرى من قلبه، أما في الداخل، فالواجهة غير مباشرة، بطيئة ومركبة. المجتمع الفلسطيني في الداخل يعيش نوع اقتصادي واجتماعي مختلف وأكثر اتساعاً مما نراه في الضفة وغزة، وهذا ما مكن من ظهور حركة سياسية/ اجتماعية مثل «ثوري على كل سلطة».

يعكس ثبات النظام الصهيوني بالنسبة للفلسطينيين الداخل بثلاث صور أساسية:

النساء، والقضايا التي يمكنها أن تفيد المجتمع، بدلاً من الانشغال في قضايا مستغزّة، قال سياسي إسرائيلي لرّعي.

### النسوي والسياسي من جانبي الخط الأخضر

تتسارع في الضفة وغزة تحولات سياسية كثيرة: الانتفاضة الأولى، أولسول، الانتفاضة الثانية ثم مرحلة ما بعد ياسر عرفات، بما في ذلك الانقسام بين فتح وحماس... أوضاع سياسية غيرت الكثير في البنية الاجتماعية الفلسطينية، وكما، الاقتصاد المشوّه لأسباب متعلقة باستراتيجيات إسرائيل والسلطة، لا سيما أن تحولات أشكال النضال في المجتمع أثرت في الاقتصاد أيضاً، بين عصامية الانتفاضة الأولى وريعية الضفة اليوم، والأهم، أنها تركت فجوات معرفية عميقة بين أجيال فلسطينية نشأت في ظروف مختلفة، برزت أيضاً إشكاليات ديموغرافية بسبب حصر القتال في الانتفاضة الثانية في فئة عمرية من الرجال، حصدت المعارك والمجازر أرواحهم، أو عطلت الأحكام بسننوات السجن الطويلة على الآلاف منهم، فعالية وجودهم الاجتماعي، ونجحت كذلك مشاكل ديموغرافية عن فصل الضفة عن غزة، وعن قوانين المواطنة الإسرائيلية.

تمتدحور هذه التفريعات المتسارعة كلها حول الصراع مع الوجود العسكري للاحتلال، وهي تتركز على حقيقة أساسية: الواجهة لا تزال مفتوحة، والمجتمع يعيش زعزعة، ولا يمكن للمطالبات النسوية أن تعتمد زيادتها. الفلسطينيون في الضفة وغزة، يعكس الداخل لا «يتبعون» بثبات النظام السياسي الذي يعيشون في ظله، بغض النظر عن طبيعته، فذاك «الثبات» الذي ناله النظام الصهيوني من اعتراف الأنظمة العربية (بما فيه منظمة التحرير به، هو حالة فتحت للفلسطينيين الداخل حيزاً لنشاط ثقافي واجتماعي مختلف وأكثر اتساعاً مما نراه في الضفة وغزة، وهذا ما مكن من ظهور حركة سياسية/ اجتماعية مثل «ثوري على كل سلطة».

يعكس ثبات النظام الصهيوني بالنسبة للفلسطينيين الداخل بثلاث صور أساسية:

«لماذا لا نترنل إلى البلدة القديمة وتحدثن هناك عن التحرش الجنسي؟»، ذلك أن العمل على القضايا الاجتماعية الشائكة بين جمهور أكاديمي يبقى أسهل بكثير من الاحتكاك بالقرى والأحياء، «هذا أمر مؤقت»، يقنن في الجموعه بشيء من الارتباك، ودون طرح الأسباب ببقية.

### الاستعمار موقف ذكوري

يدور الحديث عن القضايا النسوية باعتبارها قضايا اجتماعية داخلية موازية للقضايا السياسية، لكننا نتجاهل ما هو أسوأ: ذكورية الفاشية الإسرائيلية، عنجهية المستعمر في تعامله مع المرأة الفلسطينية، والأسوأ من هذا، عنجهيته في التعامل مع النسويات الفلسطينيات كقاصرات بحاجة إلى إرشاد التثوير الأروبي، بل ويطالب الإسرائيليين النسويات الفلسطينيات بتحويل معركتهن في داخل مجتمعهن إلى موقف ضد النضال الوطني الفلسطيني، إلى جانب تصانح حول وجوب ترك النضال السياسي باعتباره «يشوّه عدالة النضال النسوي».

في حديثها، تقول سهير أسعد، وهي من مؤسسات مجموعة «ثوري على كل سلطة»، أن التعامل الصهيوني في الإعلام والسياسة مع النساء الفلسطينيات هو صلب القضية النسوية: «الطالبة يتهميش المرأة عن مركز صنع القرار، عن العمل السياسي الجاد والمعقد، يعادها عن الحيز العام الذي يؤثر على حياة الجميع وحصرها في حيزها الخاص. وقلنا الارتباط هذا بين السياسي والاجتماعي، هو ما تناضل ضده». تذكر سهير أسعد خلال حديثها مثال الثانية حين زعمي، وهي أول قيادية فلسطينية تُنتخب عن حزب عربي في البرلمان الإسرائيلي، وزراء وأعضاء برلمان صهيونية وقفوا أمام الكاميرات ومن على منابر الكنيست يشتمون زعمي، «إنك عزيزة في سن الأربعين، حتى في مجتمع لا أحد يريد الاقتراب منك، ولا نحن نريد الاقتراب منك»، قال أحدهم، «عزيزة في سن الـ٣٨، لنرى كيف كانوا سيعاملونك في غزة»، قال آخر.

«أنت برلمانية جيدة، شابة ومودرن، فلماذا لا تتشغلين بقضايا مساواة

تخبطت نواة الحركة النسوية داخل الأراضي المحتلة سؤال الربط بين النضال الاجتماعي والنسوي وذلك السياسي، وحسمته بضرورة وجود هذا الربط. ليس فقط بسبب سطوة الاحتلال وعنصرية أفراده ومؤسسته في وقائعه اليومية فحسب، وليس نتيجة إجماع بطولي على ضرورة كشف الوجه السياسي في كل القضايا الأخرى. لكنه ربط يصعب حتمياً عندما تطف السياسة، والاحتلال، عائقاً في وجه تحقيق الانجازات النسوية داخل المجتمع نفسه.

### الإشكاليات الأساسية

عندما تتقاسم شرطة الاحتلال في جرائم قتل النساء الفلسطينيات اللواتي تمزّدن على قمع المجتمع، وعندما تعزز سلطات الاحتلال وجود القيادات التقليدية - الحماة والدينية - ضد القيادات السياسية الحديثة، عندما تربط الحاكم الشرعية بوزارة القضاء الإسرائيلية، عند التناقض الجذري بين مطالبات الحركة النسوية بالقضاء المدني في شؤون العائلة من جهة، ومطلبها بالحفاظ على الهوية الثقافية من جهة أخرى، فتكون الحكمة الشرعية سلطة الذكور، أما الحديثة فسلطة الاحتلال. عندما تصرّ الحكومة الإسرائيلية على قوانين قاسية للمرأة العربية، مثل الممانعة في قانون رفع سن الزواج، لأنها «تحترم الهوية الثقافية للاقلية العربية»، وعندما تتخذ الهوية وتتوقف عن تطورها بسبب خوف المجتمع من التماهي مع المجتمع المستعمر.

في هذا المشهد المعقد الذي يجبر النسوي على الاصطدام بالسياسي، تصعب الحكومة الإسرائيلية أكثر حرصاً على «ثقافة العرب وتقاليدهم»، من القيادات اللائحة في الحركة النسوية الفلسطينية. السؤال محسوم، لكن المشكلة هي بتطبيق هذا الربط، وتحويله إلى واقع عملي تتبناه الحركة النسوية.

تعاني قيادات الحركة النسوية في مختلف التيارات السياسية الحسوية على اليسار في الداخل من المعضلة التي خاضتها رفيعاتهن في جميع الأقطار العربية تقريباً، وهي كتم الصوت النسوي في محاولة من هذه الأحزاب لاكتساب قبول جماهيري عن طريق مسابرة الأوضاع الاجتماعية القائمة، وكذلك بحجة أولوية المعركة ضد النظام والاستعمار، أما في فلسطين، ورغم أن مركز نقل الحركة النسوية أخذ بالانفصال عن الأحزاب السياسية، إلا أن واقع الاحتلال ينقذها من غلطة التواطؤ مع النظام الحاكم لأجل تحصيل بعض الانجازات الاجتماعية، مثل تغييرات في قوانين الدولة أو زيادة الجزائيات لتمكين النساء في سوق العمل وغيرها، وهذا ما توزعت به بعض الحركات النسوية في ظل الدكتاتوريات.

### «لن نؤزّع وروداً حمراء»

«معظم الأحزاب عندنا تتشادي بمساواة المرأة بالرجل، الجميع ينادي بالعدالة الاجتماعية والحرية، لكن السؤال هو: من يجبو على رفع هذا الصوت بوضوح؟ من يطرح القضايا الموجهة، حتى لو كلف هذا زعزعة تنظيمية داخلية؟»، تسال سهير أسعد (٢٤ عاماً)، وهي محامية متدربة ونشطة سياسية ونسوية ومن الجموعه المؤسسة ل«ثوري على كل سلطة»، وهي حركة نسوية طالبة بدأت عملها في جامعة القدس العبرية بداية العام ٢٠١٢، وجذبت إلى نشاطاتها الصاعدة عدداً كبيراً من الطلاب الذين شدّتهم (أربعتهم) قدرة الاحتفال بين الاجتماعي والسياسي بثبات وتناغم. بدأت الجموعه طريقها في فعالية احتجاجية تحت عنوان «حزّيتي ممارسة يومية»، رفعت الطالبات خلالها الالفتات، وجنبدن مواقف قمع للنساء تبدأ بسؤال: «كيف يمكن أن تكون مستعمراً ونسوية؟ وانتهت برّعداء أو مشّ عذراء... مشّ شكّل». بعد أسابيع قليلة نظمت الجموعه نشاطاً للنضال مع الأسيرة هناك شلبي التي تحررت بعد إضرابها عن الطعام، حيث وُزعت المنشآت على الطالبات والطلاب العرب أقتعة تحمل وجه الأسيرة حتى امتلأت أروقة الجامعة الإسرائيلية وساحتها بوجه هناك الشلبي، للاحق الطلاب والحاضرين الإسرائيليين. أما الندوات والنشاطات التثقيفية فقد افتتحت هذا العام بنود تحت عنوان «قولوا للمخابرات ما بترهنا الاعتقالات»، لعرض أساليب المخابرات الإسرائيلية وكيفية مواجهتها أثناء الاعتقال والتحقيق، أما آخر النشاطات التي نظمتها الجموعه فكانت التصدي للعدوان المصري الطبع مايلك نبيل أثناء إلقاءه لحاضرة في الجامعة الإسرائيلية. وكانت الجموعه قد أصدرت بياناً باسمها وقتت عليه الكتل الطلابية الحزبية في الجامعة، «حتى الحركة الإسلامية»، تقول يارا السعدي، طالبة ماجستير في الدراسات الثقافية في الجامعة العبرية، وباشطة بارزة في حركة مقاطعة إسرائيل.

«قلنا أننا هذا العام لن نؤزّع الورود على الطالبات»، شددت السعدي. «انطلقت الفكرة من رفض تحويل يوم المرأة من يوم نصالي إلى يوم احتفالي، وقرّنا في كيفية إعادة القيمة النسائية لهذا اليوم، وكان الجواب هو استرجاع النضال النسوي من التحليل الفكري والأكاديمي إلى الأرض: أن نتحدث عن مشكلاتنا كمشاكلات فلسطينيات نعيش في القدس».

خرجت الجموعه من أسوار الحرم الجامعي، نظمت مسيرة للنضال مع الأسير سامر الميساري في أحياء القدس، ونظمت مشاركة في طفث الزيتون في أراضٍ يهاجر فيها المستوطنون الزراعيون الفلسطينيون، «الكتل الطلابية حتى اليوم عملت داخل الحرم، وهذا يفصل همومنا الطلابية عن المحيط القريب، ويكرّس ثباتنا اجتماعية موجودة أصلاً، والاحتلال جزء أساسي منها، خاصة في القدس، ببسب الفصل بين الداخل والقدس والضفة الغربية».

لكن عمل الجموعه خارج الجامعة في القدس أو في الضفة الغربية يقتصر على القضايا السياسية، كقضايا الأسرى والتصدي للاستيطان، عندما سئل:

## السعودية: لماذا يفوز الرجل دوماً؟

الخبر صحيح، لم يكن تليفياً ولا تشهيراً بأدعية إسلامي بيت مواعظه الجلييلة على شاشاتنا ويحتفل على تطبيق الشريعة، إلى، ابنة الخدم

سنوات، راحت ضحية تعذيب متكرر من والدها فبحان الغامدي بحجة أنه يشك بسلوكلها. ابنة الخدم سنين التي لا تعرف غير ألعها، خضعت جثتها لفحص عنصرية، ونههت هيئة حقوق الإنسان السعودي مخاوف الذكر الحاكم، فحوصها ووجدوا أن الفتاة التي لم تبلغ سن الدخول إلى المدرسة ما تزال عذراء. كأنهم كانوا يتوقعون شيئاً آخر.

لم تكن المرة الأولى التي تتعرض فيها الفتاة للتعنيف من قبل والدها، لكنها كانت المرة الأخيرة. ارتاح الأب إذن. لن يقلق بعد الآن من تصرفات يراها «مريبة»، هو يعرف أن حسابيه لن يكون عسيرا. فحقه أن يشك ويظن ويتهم ويحاسب. فإن أصاب قلبه أن أخطأ وإن أخطأ فأجر واحد يكفيه.

وهكذا كان. لم يستغرق الأمر كثيراً من الوقت ليخرج الداعية من سجنه حزاً. قليل من المال (دفعه لنفسه على شكل دية)، مقابل جثة فتاة أودعها القبر. ولم يكن مختلفاً عالياً ولا مجنوناً كما جرت محاولات للإبحاء في بادئ الأمر.

تصرف القضاء السعودي كما العادة، هيممة ولي الأمر مطلقة. اكتفى بعقوبة بسيطة تسمح للتعنيف أن يبقى أمراً مقبولاً ومبرراً. يهشم أحدهم زوجته، يضرب آخر أولاده بطريقة شرسة، يعذبهم كما في حالة إلى، ولي الأمر في السعودية هو الحاكم، من الواجب إطاعته ولو على ظلم، قد يكون أباً أو زوجاً أو أخاً أو حتى ابناً. الصفة المشتركة بينهم هي الذكورة. من حقه منح الإذن بالسفر أو الخروج، ووحده هو من تقبله الدوائر الحكومية كعميل شرعي عن الأنتى وما تحت جناحيه من أبناء. ومنذ فترة قريبة حدث استثناء عن ذلك، إذ

## تحضير روح قتيل المدرعة

س - وما السبب الذي دفعك لهذا؟  
- كنت في تطاهرة وجات مدرعة جيش داستني.  
س - وهل تعتبر أن مرور مدرعة جيش في الشارع سبب كاف لكي تقتل بهذا الشكل؟  
- المدرعة داستني.  
س - حاول أن تصف لنا الدقائق الفاصلة بين أن داستك المدرعة وبين أن قررت أن تموت، يعني لماذا اتخذت هذا القرار؟  
- (مرتبك قليلاً) لأ، مش كدا، انا مش فاكتر اللي

(شقة مظلمة بحيث نرى فيها وجهه الناس بصعوبة، مجموعة من البشر جالسون في دائرة، في وسطهم يجلس وسيط روحاني، وأمامه على الناحية المقابلة يجلس وكيل النيابة وجانبه كاتب النيابة يكتب وراءه. روح الشخص الذي استشهد تحت عجلات المدرعة العسكرية تحل على الوسيط الروحاني، وكيل النيابة يحقن مع روح القتيل.)  
س - في أي ساعة مت بالضبط؟  
- الساعة اثنتي الفجر.



حصل بالظبط.  
- (بتفهم) اتخذت القرار في لحظة انفعال يعني؟  
- (ما زال مرتبكا) انا كنت خايف.  
- مفهوم جداً، وهذا ما دفعك لأن تفعل وتقرر الانقتال.  
- إليه انقتال؟  
- (بلا مبالاة) تقرر تموت يعني. (يوصل التحقيق)  
س. هل أنت شهيد؟  
- مش عارف.  
- يعني هل استقبلوك في السماء استقبال عادي أم استقبال شهداء؟  
- لسة ماحدث استقبلني، انا لسه ميت من سبع ساعات.  
- يلتفت وكيل النيابة ليملي كاتب النيابة: وقد اعترف المذكور أنه قام بالانقتال في الثانية فجراً بعد أن رأى مدرعة عسكرية تدوسه، ولم يوضح العلاقة بين المدرعة وبين قراره هذا، ولكنه قال إنه كان في لحظة انفعال، واعترف أن أحد لم يستقبله استقبال الشهداء عندما انتقل ولذلك فهو مصنف تحت بند منقتل عادي وليس منقتل شهيد، (للوسيط الروحاني) هل لديك أقوال أخرى؟  
الروح: آه، أنا أسلاً ماخدتش قرار، انا فجأة.. أصلاً.. وكيل النيابة: (بباطعه) ماتخافش. الصيغة اللي كتبنا بيها الحضر متخليهم يخفوا الحكم عنك، دي كدا تهمة انقتال خطأ، (يمد له يده بسيجارة) سيجارة؟



